مقياس تيارات فكرية السنة الأولى ماستر ــ أدب حديث ومعاصر

الأستاذة: مفيدة عليوط

المحاضرة الثانية: البوذية

البوذية هي إحدى أقدم الفلسفات والديانات الآسيوية، وتعود نشأتها إلى القرن الخامس قبل الميلاد في شمال الهند. بدأت بوصفها حركة إصلاحية اجتماعية وروحية أسّسها "سيدهارتا غوتاما"، المعروف لاحقًا بلقب "بوذا" أي *المستنير* تركّز البوذية على تحليل طبيعة المعاناة الإنسانية وسبل التحرّر منها عبر التهذيب الأخلاقي والتأمل وفهم الذات

1 ــ سيدهارتا غوتاما(بوذا) 560 ــ 480 ق م

ولد في أسرة نبيلة في مملكة كابيلافاستو (نيبال الحالية)، عاش حياة رغيدة قبل أن يخرج في رحلة تأمل وبحث عن معنى الوجود ومعالجة المعاناة، تخلى عن حياة الترف والنعيم بحثًا عن طريق للتخلص من المعاناة، ووصل إلى حالة التنوير (البُعد عن الارتباك والجهل) بعد ممارسات وتأملات طويلة، بدأ بتعليم ما يُعرف "الدارما" أي طريق الفهم والتحرّر قبل أن يصل إلى النيرفانا أي التحرر النهائي من المعاناة وهو الهدف الأسمى في الديانة البوذية.

نشأت البوذية في فترة فكرية ودينية مضطربة في الهند القديمة حيث كانت بمثابة حركة إصلاحية أو رد فعل على التعاليم والممارسات الهندوسية السائدة آنذاك، اشتهرت البوذية بالحقائق الأربعة النبيلة:

1 ـ الحياة فيها معاناة

2ـ سبب المعاناة هو التعلق والرغبة

3 ـ يمكن وضع نهاية للمعاناة

4 ـ سبيل إنهاء المعاناة هو الطريق الوسطي الذي يتجنب الإفراط في المتعة والإفراط في الزهد.

استمر بوذا في الدعوة 45 سنة، وقد استهوت تعاليمه مختلف الطبقات لأنها رفضت التميز الطبقي وبعد وفاته انتشرت البوذية في الهند ثم شرق آسيا: الصين، اليابان، كوريا، تايلند..

2ـ الجانب الأخلاقي في الديانة البوذية

تحتل الأخلاق مكانة أساسية في الديانة البوذية وتنطلق من مبدأ جوهري هو مبدأ اللاّإيذاء الذي يدعو إلى احترام جميع الكائنات الحية وتجنب إلحاق الضرر بها، وتستند الأخلاق البوذية إلى قانون الكارما الذي يربط بين الفعل والجزاء (نتيجة الفعل)، فكل عمل صالح يقابله جزاء طيب وكل عمل سيئ يقابله عقاب مُستَحق ومن أهم الأخلاق البوذية:

أـ الرحمة

من المبادئ الجوهرية في البوذية هو مبدأ الرحمة (اللاعنف ـ أهيمسا)، الذي يمتد ليشمل جميع الكائنات الحية، وليس البشر فحسب، فالبوذية تدعو إلى أن نعيش حياتنا بعيدًا عن العنف، سواء كان ذلك في الأفعال أو الكلمات أو حتى في الأفكار، فالاعتداء على أي كائن حي، سواء كان إنسانًا أم حيوانًا أم حتى حشرة، يُعتبر انتهاكًا للطبيعة الأساسية للوجود

ب ــ الصدق

الصدق في البوذية ليس مجرد تجنب الكذب في الحديث، بل يمتد إلى الصدق مع الذات إذ على المؤمن أن يكون صادقًا في فهمه لطبيعته الداخلية، وهذا يتطلب الشجاعة لمواجهة الحقائق الصعبة والاعتراف بالمشاعر والأفكار السلبية التي قد تنبع من الداخل، دون أن ينكرها أو يحاول قمعها

ج ــ الابتعاد عن الرغبات

من المبادئ الأخرى التي تُركّز عليها البوذية هو التحرر من الرغبات لأن الرغبات غير المشبعة هي أحد الأسباب الرئيسية للمعاناة في هذا العالم، لهذا يدعو بوذا إلى التوازن والاعتدال في الرغبات، فالرغبة قد تكون طموحًا طبيعيًا، ولكن إذا زادت عن حدها، فإنها تؤدي إلى الشقاء المستمر.

دــ التأمل والوعي

من خلال التأمل، يسعى البوذيون إلى تطوير الوعي الكامل (الذي يُعرف بـ "السمادهي"، وهو التركيز العميق على اللحظة الحالية دون التعلق أو الانشغال بالماضي أو المستقبل. هذا الوعي هو الذي يتيح للفرد أن يلاحظ أفكاره ومشاعره وتصرفاته بشكل دقيق، مما يساعده على أن يتصرف بحكمة وبدون انفعالات مفرطة أو تهور. التأمل لا يُعتبر مجرد أداة روحية، بل هو تمرين يومي لتعزيز القدرة على اتخاذ قرارات أخلاقية وحكيمة

هــ التسامح والتواضع

في تعاليم البوذية أيضًا، نجد قيمة كبيرة للتسامح، فهو ليس مجرد وسيلة لتجاوز الأذى، بل هو وسيلة للتطهير الداخلي من مشاعر الغضب والكراهية، فالتسامح

يُعتبر في البوذية طريقًا لتحرير الذات من قيود الماضي، أما التواضع فيُعلم الشخص ألا يتمسك بفكرة "الأنا"، بل أن يكون عارفًا بحدوده ويقبل ما هو موجود بدون الحاجة إلى التفاخر أو الشعور بالتفوق.

3ـ مذاهب البوذية

قسم البوذية الحديثة عادةً إلى ثلاثة فروع أو تقاليد رئيسية، لكل منها خصائصه ومعتقداته ومناطق انتشاره.

1ـ مذهب ثيرافادا (مذهب الأسلاف)

هو أقدم المذاهب البوذية يركز على الالتزام بتعاليم بوذا الأصلية، يتميز بالتشدد في التأمل وتوظيف الجهد الفردي في التحرر من المعانة عن طريق الالتزام بالجانب الأخلاقي واستحضار الشخصية التاريخية لبوذا، يعرف بالبوذية الجنوبية في سريلانكا وجنوب شرق آسيا مثل تايلاند وميانمار ولاوس، وهي المدرسة الوحيدة التي تركز على دراسة مجموعة نصوصها .الباقية من المدارس البوذية المبكرة والمحافظة ، واللغة البالية هي لغتها المقدسة، (Pali Canon) "شريعة بالي"الرئيسية، وهي تميل إلى اعتبار بوذا معلمًا بشريًا عظيمًا وصل إلى التنوير، وتعتبر أقل غلواً في تأليهه مقارنة بالماهايانا وهدفها هو التركيز على تحقيق حالة الشخص الذي يحقق الخلاص الفردي من دورة التناسخ

2ـ العربة الكبرى (الماهايانا)

هي الأكثر انتشارًا عالميًا (53% من البوذيين)، وتسود بشكل خاص في شرق آسيا: الصين، كوريا، اليابان، فيتنام، ومنطقة الهيمالايا مثل التبت ونيبال، يؤمنون بأن بوذا (سيدهارتا غوتاما) ليس مجرد معلم عظيم، بل كائن أزلي شبه إلهي،

تتميز بالتعقيد ووجود عدد كبير من النصوص المقدسة المكتوبة باللغة السنسكريتية سُمي بـ "العربة الكبرى" لأنها ــ من وجهة نظرهم ــ قادر على حمل عدد أكبر من الكائنات الحية نحو التنوير

3ــ البوذية التبتية(فاجرايانا)

يعتبر هذا الموضوع غالبا جزءًا من تقليد الماهايانا، ولكن يتم فصلها كفرع متميز بسبب خصائص الفريدة ينتشر في منطقة التبت، منغوليا، ومناطق الهيمالايا، يعتمدون على استخدام التعويذات الصوتية والرسوم الهندسية وإيماءات اليد كطرق تسعى لتحقيق التنوير بسرعة كبيرة.

في مجمل القول فإن البوذية فلسفة وضعية أقرب من كونها دينا، تقوم على التأمل الشخصي والسعي نحو تقليل المعاناة، وقد تطورت تعاليمها على مر القرون فظهرت مذاهب وطــرق متعددة لممارسـة التعاليم نفسها، مع الحفاظ على العامل المشترك وهو الاهتمام بفكرة التوازن النفسي والروحي دون التقيد بالجانب الطقوسي فقط

مراجع مساعدة

1 ــ الشيخ كامل محمد عويضة، بوذا والفلسفة البوذية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994.

2ــ عبد الله مصطفى نومسوك، البوذية تاريخها و عقائدها و علاقة الصوفية بها ، مكتبة أضواء السلف ، الرياض، ط1، 1999.

3 ــ تشوجيام ترونجيام، الحكمة المجنونة (دراسة في الفلسفة البوذية في الصين)، تعريب:فوزي درويش، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1996